قصرت أخادعه وطول قذاله فكأنّه متربّص أن يُصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة وأحسّ ثانيةً لها فتجمّعا

فهذه الصورة جمعت إلى جانب الحركة كلّ العناصر والملكات من شكل، وحسٍّ، وخيالٍ، وتأمّلٍ... في هيئة سخرٍ "عمل فيها الشاعر عمله المركّب ليتمّ فيها نصيب العين والضحك والخيال، فصورة الرّجل وهو يتهيّأ لأن يُصفع، ثمّ يتجمّع ليتّقي الصّفعة الثانية، هي صورة الأحدب بنصّها وفصّها، لا يُعوزها الاتقان الحسّي، ولا الحركة المَهينة الزّرية، ولا التأمّل الطويل في ضمّ أجزاء الصورة بعضها إلى بعض حتّى يتّفق التشبيه هذا الاتّفاق"[١٩٧].

ثلاث حركات -إذن- استطاعت الصورة الشعرية، في نظرنا، أن تمثّلها في هيئة واحدةٍ دون انفصالٍ في الزمان، والمكان، وهذا مالا نستطيعه أحياناً حتى "السّينما" بوسائلها التقنية المتطوّرة؛ إذ لابدّ أن تصوّر كل لقطةٍ أو حركةٍ على حدةٍ في صورةٍ منفصلةٍ مستقلّةٍ، ليتمّ عرضها بعد ذلك في صورٍ متتاليةٍ كأنّها صورة واحدة، والرسام أيضاً لا يستطيع رسم الحركات الثلاث في لوحةٍ واحدةٍ؛ إذ لابدّ من ثلاث لوحات لاستيفاء الصورة الشعرية، وهذه ميزة جماليّةٌ ينفرد بها الشعر عن سائر الفنون الأخرى.

ففي البيتين مشهدٌ لأحدب معقوف الظّهر، يتحرّك كأنه ماثلٌ أمامنا، وقد ارتسمت على غاربه حدبةٌ، وهو مشهدٌ جميلٌ -بلاشك- من حيث التصوير الفنّي، كما أنه يبعث على السخرية والضحك، ولكنه، في الوقت نفسه، مشهدٌ مؤثّرٌ يبعث على الإشفاق، إذ نحن أخذناه من الجانب الإنساني.

وابن الرومي، في الحقّ، أراد من خلال هذه الصورة الشعرية أن يعكس حالته النفسية لحظة الهزل، ليعرب في وقتٍ واحدٍ عن تطيّره وتشاؤمه من هذا الرجل الذي كان يضايقه ويترصّد له أمام داره[١٩٨].

ويمكن أن نقيس على هذه الصورة "وصفه لحركة الكتّان في حقله:

وجلس من الكتان أخضر ناعم توسنه داني الرباب مطير

---

[١٩٧] العقاد، عباس، ابن الرومي حياته من شعره، ص : ١١٦.
[١٩٨] العقاد، عباس، ابن الرومي حياته من شعره، ص :١١٦.